أخبار الخليج

العدد (17701) - السنة الحادية والخمسون - الأربعاء 27 ربيع الأول 1448هـ - 9 سبتمبر 2026م

هل ينجح الحصار الاقتصادي الأمريكي على إيران؟

بقلم:
د. سنية الحسيني ○

أطلقت إدارة ترامب في الرابع والعشرين من الشهر الجاري عملية أطلقت عليها «المنبوذ الاقتصادي» (Economic Outcast)، ووصفتها بأنها أكبر هجوم اقتصادي يستهدف الروابط المالية لإيران حول العالم، وقطع كل مصدر محتمل للإيرادات التي تموّل البلاد، وهي الأشد قوة مقارنة بتلك التي شنتها ضد أي من خصومها. وتهدد هذه التدابير أي طرف يتعامل مع النظام الإيراني بالمواجهة المباشرة مع الولايات المتحدة.

وتعود واشنطن لاستخدام الحصار الاقتصادي على إيران، بعد أن عدم تحقيق اهداف الحرب التي شنتها عليها. وجرى اختبار تلك الأداة في حقبة الرئيس دونالد ترامب الأولى، ورغم أنها أضرت بإيران إلا أنها لم تنجح في تحقق النتائج المرجوة منها.

هل تستطيع الولايات المتحدة، اليوم، حسم نتائج الحرب عبر حصار إيران اقتصادياً، في ظل بيئة إقليمية ودولية أكثر تعقيداً من تلك التي سادت خلال ولايته الأولى؟

رغم تفعيل وقف إطلاق النار أكثر من مرة بوساطة باكستانية، وآخرها جاء في مذكرة تفاهم أبرمت في يونيو الماضي، إلا أن ذلك لم ينهِ التوتر والمواجهة بين الطرفين في هذه الحرب التي شنتها واشنطن وإسرائيل على إيران. بعد مرور ستة أشهر على الحرب، وتصريح ترامب في بداية الحرب بأنها لن تستغرق أكثر من أربعة أو خمسة أسابيع، والتفوق العسكري للولايات المتحدة لم تحسم الملفات المتعلقة بالبرنامج النووي الإيراني، وتطوير منظومة الصواريخ البالستية، وأذرع إيران الإقليمية، وأضيف ملف مضيق هرمز كنتيجة جديدة إلى الملفات السابقة.

تلجأ الولايات المتحدة، مؤخراً، إلى الحصار الاقتصادي على إيران، وكانت قد لجأت لذلك الخيار من قبل بعد انسحاب واشنطن من الاتفاق النووي في العام 2018. ورغم أن العقوبات الأميركية، خصوصاً التي جاءت في إطار حملة الضغط الأقصى، قد ألحقت أضرارا بإيران، لكنها لم تنجح في تدمير الاقتصاد الإيراني أو تصفير صادرات النفط، كما لم تنجح في تحقيق الأهداف السياسية التي وُضعت من أجلها تلك الحملة من قبل الولايات المتحدة. ساعدت البيئة الدولية والإقليمية في ذلك الوقت ترامب على تفعيل تلك الحملة من العقوبات، إلا أن تلك البيئة تغيرت، اليوم. كما ساعدت تلك العقوبات إيران بمرور الوقت على تطوير منظومة واسعة للالتفاف عليها، تقوم على مساعدة الوسطاء في عدد من الدول، وشبكات مالية وتجارية ونفطية متشابكة ومعقدة، فإيران بات لديها أساليب في الالتفاف على العقوبات. كما مثلت الصين عاملاً أساسياً في تحييد فعالية نظام عقوبات على إيران، فهي تعد أكبر مشترٍ للنفط الإيراني.

جاءت الحرب الحالية في بيئة إقليمية مختلفة جذرياً. شهدت المنطقة خفضا لحالة الاستقطاب بين السعودية وإيران منذ العام 2021 وبناء ساحات أوسع من التفاهم الإقليمي. وجاء الهجوم الإسرائيلي على الدوحة في 9 سبتمبر 2025 ليعزز لدى دول المنطقة المخاوف من اتساع نطاق التهديدات الإسرائيلية وعدم اقتصارها على ساحات الصراع التقليدية.

وتعززت تلك المخاوف بعد الهجوم الأمريكي الإسرائيلي على إيران. في الوقت نفسه، حافظت السعودية على رفضها الصريح للتطبيع مع إسرائيل دون قيام دولة فلسطينية. دخلت المنطقة حرب 2026 أكثر تقارباً بين أقطابها، وأقل استعداداً للانخراط في استراتيجية واشنطن وإسرائيل ضد إيران، وأكثر ميلاً لحماية استقلال قرارها الإقليمي وتنويع علاقاتها الدولية. وهي تحولات تقلل من قدرة واشنطن على إعادة إنتاج البيئة الإقليمية التي صاحبت الضغط الأقصى في ولايتها الأولى.

مقارنة بحقبتي ترامب الأولى والثانية، لم تكن البيئة الإقليمية وحدها من العوامل التي ترجح صعوبة تنفيذ حملة ترامب الحالية لحصار إيران، فالتحولات في مواقف الصين وروسيا تجاه إيران والولايات المتحدة قد تعد أيضاً من بين العوامل المؤثرة في تحديد مدى نجاح ذلك الحصار.

في ولاية ترامب الأولى، وبعد تنفيذه لحملة «الضغط الأقصى»، عارضت الصين تلك الحملة، واعتبرت أن الانسحاب الأمريكي الأحادي من الاتفاق السبب الحقيقي للتوتر. ورغم ذلك خفضت الشركات الصينية الحكومية الكبرى تعاملاتها مع إيران، وانسحبت شركة النفط الوطنية الصينية من مشروع ضخم لتطوير الغاز الإيراني، يعرف بمشروع حقل بارس الجنوبي (South Pars)، وتراجعت واردات الصين الرسمية من النفط الإيراني، وقيدت بعض المعاملات البنكية من قبل الصين، وانتقلت نسبة كبيرة من مشتريات النفط وتكراره إلى مصافي وشركات صغيرة ومستقلة وغير رسمية.

أي أن الصين في ذلك الوقت قامت بموازنة دقيقة، فقد عارضت سياسة ترامب للضغط الأقصى ضد إيران، وحافظت على علاقتها معها، لكنها لم تدخل في مواجهة اقتصادية مع واشنطن. تأتي حملة ترامب العقابية الحالية ضد إيران في ظل تبدلات لحقت في العلاقة الصينية مع إيران من جهة ومع الولايات المتحدة من جهة أخرى. أنتجت سياسة ترامب التصعيدية في حقبته الأولى تجاه الصين، والتي امتدت في عهد جو بايدن، ووصولها للذروة خلال الحقبة الحالية لترامب موقفا صينيا أكثر صرامة وصلابة تجاه واشنطن.

في ظل ذلك، تطورت العلاقات الصينية الإيرانية في عام 2021 حيث وقعت الصين مع إيران خطة تعاون شاملة مدة 25 عاما، وتوسعت مشتريات الصين من النفط الإيراني، لدرجة باتت معه الصين، اليوم، المشتري الأساسي له، وبات مصدرا مهما للتكنولوجيا والشبكات الاقتصادية التي تخفف أثر العقوبات الغربية عليها دون استحياء. كما يمتلك البلدان الخبرة في التعامل غير الرسمي، عبر المصافي الصينية الصغيرة وشبكات نقل غير رسمية ومتشعبة عبر وسطاء تجاريين وقنوات مالية تعمل خارج النظام المصرفي والمالي الغربي. عندما اندلعت حرب 2026، لم تكتف الصين بانتقاد الحرب بل دعت لتولي دول الشرق الأوسط مصيرها بأيديها تحت إطار إقليمي سياسي وأمني مشترك ولاستقلال استراتيجي حقيقي لدول المنطقة.

تأتي عقوبات الولايات المتحدة، اليوم، ضد إيران في ظل شبكات تجارية واقتصادية ومالية أعمق وأكثر تعقيدا، وعلاقات صينية أمريكية أكثر مواجهة وتصادماً، لذلك يعتبر عدد من الخبراء الأمريكيين أن نجاح حملة ترامب العقابية الاقتصادية الحالية ضد إيران يتوقف على مدى تعاون الصين.

رغم أن العلاقات الروسية الإيرانية التعاونية ممتدة، فقد انتقدت روسيا أيضاً، تماما كالصين، انسحاب أمريكا من الاتفاق النووي مع إيران العام 2018، وكانت طرفاً في المفاوضات النووية، لكنها لم تحبط العقوبات الغربية الموجهة من مجلس الأمن ضدها قبل الحرب الروسية الأوكرانية. وتعد هذه الحرب نقطة التحول الحقيقية في العلاقة بين البلدين وانتقالها إلى مستوى تحالف إستراتيجي. منذ أغسطس 2022، بدأت إيران، بتزويد روسيا بطائرات مسيّرة مسلحة، مقابل دعم عسكري وتقني قدمته روسيا لإيران. في ظل تعاون لمواجهة عداء الولايات المتحدة والعزلة الغربية للبلدين، توسع التعاون إلى الإنتاج المشترك للطائرات المسيّرة، والتكنولوجيا العسكرية، وربط شبكات اقتصادية ومالية تساعد البلدين على تحمل العقوبات، وتتوّج ذلك في العام 2025 بتوقيع معاهدة الشراكة الاستراتيجية بين البلدين. جاءت حرب العام 2026، لتعكس موقفا روسيا حاسما من الهجوم الأمريكي – الإسرائيلي ضد إيران، وترجم بمواقف سياسية ودبلوماسية واضحة في أروقة الأمم المتحدة.

يصعب تفسير استخدام الولايات المتحدة للعقوبات الاقتصادية، اليوم، إلا في إطار محاولات الالتفاف الوضع العسكري في المنطقة، ولكن هل لا تزال الولايات المتحدة تمتلك القدرة الدولية التي كانت تملكها سابقاً لتحويل عقوباتها على إيران إلى عزلة دولية فعلية؟؟ وهل التطورات العالمية الراهنة من إرهاصات النظام الدولي الجديد بعيداً عن القطبية الأحادية؟

○ أكاديمية فلسطينية مختصة في العلاقات الدولية.

مأزق الحرس الثوري الإيراني

بقلم:
سعد بن طفلة العجمي ○

هناك أسباب ثلاثة رئيسة لهجوم إيران على جيرانها بدلاً من إسرائيل وأساطيل أمريكا، أولها أنها تعلم أن إسرائيل تنتظر الذريعة على أحرّ من الجمر لتطلق عليها وابل جحيمها، بقصف سيبدو معه كل ما سبق أشبه بنزهة حربية، وثانيها أنها لو هاجمت الأساطيل الأمريكية مباشرة، فسيكون رد الفعل الأمريكي أشد وأقسى مما سبق، وثالثها أن «الحرس الثوري» الإيراني يبحث عمّا يبرر به سياسته الهوجاء التي أدت إلى عزل إيران وخنقها اقتصادياً، فكيف سيبرر الخنق الاقتصادي، وتلقي الضربات الأمريكية من دون رد فعل يجادل به تساؤلات الشعوب الإيرانية.

من القصص الشعبية أن لصاً تسلّق جدار منزل ليسرقه، فزلّت قدمه ليقع من الجدار الذي كان فيه مسمار فقأ عينه، فراح اللص يشكو أمره إلى الوالي قراقوش، وهو شخصية حاكم في عهد صلاح الدين الأيوبي، كثر الجدل ونسبة القصص المضحكة إليه.

الشاهد أن اللص طلب من قراقوش أن يفقأ عين صاحب المنزل، عملاً بمبدأ «العين بالعين»، فوافق قراقوش وطلب من حراسه الإتيان بصاحب المنزل ليفقأ عينه، في مقابل عين اللص التي فقأها مسمار على جدار صاحب المنزل.

ذُهل صاحب المنزل الذي لم يكن يدري بتسوُّر اللص جدار بيته أصلاً، ولم يكن يدري بالمسمار الذي فقأ عين اللص، فقال صاحب المنزل لقراقوش «يا مولاي، أنا خياط أعيل عائلة كبيرة من الحياكة، وأحتاج عيني الاثنتين من أجل عملي ولقمة عيشي، لكن جاري صياد أسماك، يلقي بشبكة في النهر ويصطاد السمك، ولا يحتاج إلى عينيه الاثنتين، فهلّا فقأت إحدى عينيه بدلاً من عيني؟»، فوافق قراقوش وأمر بإحضار الصياد وفقأ إحدى عينيه انتصارا للص.

تعرَّض «الحرس الثوري» الإيراني للملاحة في مضيق هرمز، الذي يريد الرئيس ترامب تغيير اسمه إلى مضيق ترامب، فقامت الولايات المتحدة الأمريكية بضرب قواعد الحرس الثوري، وبخاصة تلك المحيطة بالمضيق وعلى السواحل الجنوبية للخليج من الناحية الإيرانية، فردت إيران بإطلاق المسيّرات والصواريخ على الكويت والبحرين والأردن وأربيل في كردستان العراق، وبرّرت إيران عدوانها هذا بأنه ضرب للمصالح الأمريكية في المنطقة، فقد استبدلت إيران ذريعة «القواعد الأمريكية» بـ «المصالح الأمريكية»، وهي عبارة مطاطة قد تعني ضرب أهداف مدنية بحتة، وتدعي بأنها مصالح أمريكية، فقد ضربت برجاً سكنياً في الكويت بمسيّرة قبل أيام، ولا أحد يعرف ما المصالح الأمريكية في برج سكني قرب المستشفى الأميري، وهو أقدم مستشفى كويتي، عبارة عن مجمع طبي ضخم، يحوي كثيراً من الأجنحة المختلفة، ويرقد ويراجع فيه مئات البشر، ولحسن الحظ فقد أخطأت المسيّرة المستشفى، ولو أصابته لكانت الخسائر في الأرواح مخيفة.

لقد أصبحت ذريعة القواعد الأمريكية سمجة، ولم يعد أحد يستسيغ هذه الذريعة الزائفة التي تسوّقها إيران منذ بداية الحرب كحجة واهية لعدوانها على جيرانها في دول الخليج والأردن، فاختلقت ذريعة المصالح الأمريكية الأكثر سماجة وزيفاً، ويتساءل المتسائلون، ويسأل المراقبون، ويستفسر المحللون، ويحتار العقلاء والحكماء: لم لا تضرب إيران الأساطيل البحرية الأمريكية القابعة قبالة سواحلها؟ ولماذا لا تضرب إسرائيل التي تعتبر أكبر قاعدة أمريكية في المنطقة؟ فإسرائيل على بعد مرمى حجر من الأردن الذي تعرّض للعدوان الإيراني، ووزير دفاع إسرائيل يسرائيل كاتس تبجح بأن بلاده هي من اغتالت المرشد علي خامنئي، وقيادات الصف الأول الإيرانية معه، بل ويصرّح بأن الطيران الحربي الأمريكي يتسلح ويتزود بالوقود من القواعد الإسرائيلية، بل وتحدى إيران أن تقوم بمهاجمة إسرائيل؟ فلماذا لا تقوم إيران بمهاجمة إسرائيل بدلاً من مهاجمة جيرانها المسلمين؟

إن إصرار الحرس الثوري على العدوان على دول الخليج والأردن وتجاهل علاقات حسن الجوار والروابط الأخوية الإسلامية مع كل هجوم أمريكي على مواقع إيرانية هو أشبه بـ«عدالة قراقوش» وحكمه بفقء عين الصياد، بدلاً من معاقبة اللص الذي حاول سرقة بيت الخياط.

○ وزير الإعلام السابق في الكويت.

التفكير العقلي المتجدد والتعليم المستمر

بقلم:
د. فواز عقل ○

تبدأ هذه المقالة بمجموعة من المقولات والحكم والاقتباسات. يقول شمس الدين التبريزي: إن الجاهل بزمانه جاهل/ لن أمسي حتى أصبح أحسن من أمس/ من بلغ الخمسين من العمر ومازال يرى الأمور كما كان يراها في الثلاثين من عمره، فقد أضاع عشرين سنة من عمره وعمر المجتمع/ من لا ينمو يذبل/ إذا لم تغير أفكارك وتغير أولوياتك وتتخلَّ عن عاداتك القديمة فلن تتطور ولن تتقدم ولن تصل.

من لا يتعلم شيئاً جديداً كل يوم يزداد جهلاً يوماً بعد يوم. قالت العرب: من لا يتقدم يتقادم/ ومن لا يتجدد يتبدد. ان الشجرة التي لا تبدل أوراقها كل موسم لن تنمو أبدا/ لا تخرج من البيت إلا ولديك شيء تقوله أو أمر تفعله.

ان المفاتيح القديمة لن تفتح الأبواب الجديدة لذلك جدد أسلوبك إذا أردت التأثير في العقول الجديدة وجدد مفاتيحك.

يقول عالم الاجتماع العراقي علي الوردي في كتابه عن مهزلة العقل الذي لا يفارق بيته الذي نشأ فيه ولا يقرأ غير الكتب التي تدعم معتقداته، ولا يتفاعل مع الآخرين لا تنتظر منه أن يكون محايداً في تفسير الأمور لأن معتقداته تلون تفكيره حتما وتبعده عن البحث الجاد الإنسان لا ينمو عقله إلا في حدود القالب الذي يصنعه المجتمع له ومن الظلم أن نطلب من إنسان عاش في مجتمع جاهل أو مع البدائيين أن ينتج لنا فلسفة جديدة أو يخترع علم جديد.

يقول نجيب محفوظ: نحن لا نموت حين تفارقنا الروح فحسب، نموت قبل ذلك، حين تتشابه أيامنا ونتوقف عن التغيير حيث لا شيء يزداد سوى أعمارنا.

أي إنسان يريد أن يغير يجب أن يضع استراتيجية وهدف وخطة عمل/ لا يمكن الوصول إلى الغد وأنت مازلت تفكر بالأمس/ إذا لم تضف شيئا إلى هذا العالم فأنت عبء عليه.

وما أجمل ما قاله الإمام الشافعي عن وقوف الماء ووقوف الشمس:

«أني رأيت وقوف الماء يفسده
وإنْ سال طاب وإن لم يجر لم يطب
الشمس لو وقفت في السماء دائمة
لملها الناس من عجم ومن عرب».

أما الإمام الغزالي، فربط بين مستقبل الأمة ومواكبة التغيرات، ويقول: مستقبل أي أمة يقوم باستعدادها لمواءمة كل عصر بما يناسبه.

أما جون ديوي المفكر الأمريكي أبو التربية الحديثة، فيقول: إذا علمنا طلاب اليوم بأساليب الأمس فسنسرق منهم مستقبلهم، وقد أبدع الخليل بن أحمد الفراهيدي بحديثه عن المعلم وعدم التنويع وقتل الدوافع حين قال: لو علم المعلم جميع طلابه بنفس الطريقة لأمات قلوبهم.

ويقول أحد الشعراء:

«شباب قنع لا خير فيهم
وبورك بالشباب الطامحين».

أما أبو القاسم الشابي الذي لعن من لا يماشي الزمان وبارك أهل الطموح:

«أبارك في الناس أهل الطموح
ومن يستلذ ركوب الخطر
وألعن من لا يماشي الزمان
ويقنع بالعيش عيش الحجر».

انطلاقا من كل ذلك نلاحظ ان العالم اليوم يشهد تحولات علمية واجتماعية واقتصادية وتكنولوجية، وأصبح ما كان مقبولاً في الماضي لن يكون مقبولاً في المستقبل، وهذا يظهر أهمية الحكمة التي جاء بها شمس الدين التبريزي حين قال يوما: «لا تنَم بنفس العقل الذي استيقظتَ فيه».

وهذه المقالة لا تعني بأي حال من الأحوال رفض الماضي، الذي هو جزء من حياتنا، بل تعني عدم السماح لبعض العادات والتقاليد والأفكار وما تعودنا عليه بأن تحدد أساليب التعامل مع المتغيرات والتحولات، فالعقل المتجدد هو الذي يستفيد من تجارب الماضي وكما قالت العرب: من لا يتجدد يتبدد.

إن العقل المرن المستنير المواكب يعتمد على التعلم المستمر والتطور المستمر، ولا يستطيع الإنسان أن يدخل المستقبل إذا بقي أسيراً لقواعد وعادات لا تناسب العصر، والعقل المستنير هو الذي ينظر إلى الماضي بعيون فاحصة، وهذا يتطلب حكمة وجرأة وشجاعة ومعرفة.

ويجب أن يسأل الطالب نفسه دائماً: ماذا تعلمت اليوم؟ كيف يمكن أن أستفيد مما تعلمته اليوم؟ لماذا لا أجدد نفسي؟ لماذا لا أطور نفسي؟ لماذا يجب أن أبقى متخلفا؟

التعلم المستمر الذي من خلاله يمكن مقاومة الجمود الفكري من خلال القراءة والمشاركة في ندوات ومؤتمرات والاستفادة من الخبرات السابقة والتعاون مع الآخرين ومراجعة التجارب السابقة، لأن الأهم من اكتساب معارف جديدة قدرة الطالب على تحويل المعارف الجديدة إلى فهم وممارسة وإعادة تقييم بعض الأمور.

وهنا أقول: لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم.

مرة أخرى، إن هذه هي دعوة جريئة حكيمة شجاعة وبوصلة جديدة لأنه في عالم سريع التطور نحن بحاجة إلى عقلية مرنة تقوم على التعلم المستمر والتفكير النقدي والانفتاح والاستعداد للقادم من خلال رؤية مستقبلية.

وهنا المفكر الأمريكي نعوم شومسكي يتحدث عن نظام التعليم بقوله: أن نظام التعليم مصمم لإنتاج إنسان مطيع لا إنسان مفكر، وعند سؤالك عن ذلك تصبح أنت المشكلة.

مشكلة الطالب الجامعي في هذا العصر هي التوقف عن التعلم المستمر والتطور والنمو، مع العلم أن المعارف تتجدد والحاجات تتجدد، والمهارات تتجدد، والتخصصات تتجدد، والوظائف تتجدد ومتطلبات المستقبل تتغير.

الشهادة الجامعية لم تعد الضمان الوحيد للطالب بل القدرة على البحث والتكيف مع المتغيرات والتحولات، والشهادة ليست الخاتمة، بل البداية لكل شيء والتغيير لا يبدأ بالشهادة بل يبدأ بطريقة التفكير.

المستقبل لا يُشترى، بل يُبنى حين يستمر الطالب في النمو والتكيف والتأمل والبحث.

المستقبل لن يكون لمن حفظ أكثر ولا لحامل الشهادة بل لمن يواكب ويتعلم باستمرار.

المستقبل يعتمد على ما يملكه الطالب من مهارات وقدرات وتجارب تمكنه من مواكبة العصر.

وأخيراً أقول: نحن التربويين المحاورين نحتاج ان نبذل جهدا كبيرا، لنزرع روح الأخلاق والتعليم والتربية والتواضع، نحن أصحاب اليقظة أصحاب البوصلة نصنع البوصلة لليوم التالي ولا ننتظرها.

○ اختصاصي في شؤون التعليم والتعلم.

القضية الفلسطينية والاستفادة من التجارب النضالية العالمية

بقلم:
د. جاسم بونوفل

منذ نكبة عام 1948، لم يتوقف الكيان الإسرائيلي عن قضم الأرض الفلسطينية وتوسيع عدوانه، مستفيداً من صمت دولي مطبق وعجز رسمي عربي عن المواجهة؛ إلى أن أصبح الفلسطينيون وحيدين في ميدان المواجهة.

ومع ذلك، فإن مراجعة مسار الصراع تفرض علينا تجنب البكائيات التاريخية، والالتفات إلى ثلاث معضلات بنيوية ذاتية وخارجية، تفسر لماذا تفوق الاحتلال عسكرياً وسياسياً، بينما تعثر الفلسطينيون في نيل حقوقهم.

أولى هذه المعضلات تكمن في جمود النخبة القيادية الفلسطينية؛ فبينما أنتج النظام الإسرائيلي عبر تداوله السياسي عشرات الوجوه والمدارس –من بن جوريون وجولدا مائير إلى رابين وبيجين ونتنياهو– تتنوع أساليبهم وتتحد غاياتهم، ظلت القيادة الفلسطينية محصورة تاريخياً في ثلاث وجوه رئيسية (الشقيري، وعرفات، وعباس)، ما أنتج ركوداً في الرؤية والأدوات. وتتلاقى هذه الأزمة القيادية مع عجز إعلامي فلسطيني وعربي ممتد، فشل في مخاطبة الرأي العام الغربي أو اختراق دوائر صنع السياسة في العواصم الكبرى لتحجيم دعم إسرائيل. هذا الاخفاق الخارجي انعكس داخليا، في صورة انقسام سياسي وجغرافي حاد، لا يعود فقط لتدخلات الأطراف الإقليمية، بل إلى ضعف آليات إدارة الصراع والقرار الفردي.

إن تفكيك هذه الثلاثية – بنية التوجهات السياسية، والخطاب الخارجي، والانقسام الداخلي – هو المدخل الإجباري لفهم كيف كسب الاحتلال معركة الرواية حتى وقعت حرب الإبادة في غزة، ولماذا بقيت الحقوق الفلسطينية بلا ظهير استراتيجي للإجابة عن هذين السؤالين سنتناول المسألة من زاويتين:

أولها: مأسسة الاحتلال وشخصنة القيادة.. معضلة التداول والجمود: تكمن المفارقة الصادمة في قدرة الكيان الصهيوني، رغم بنيته الاجتماعية الهجينة والقائمة على شتات من المهاجرين، على بناء نظام سياسي «مؤسساتي» شديد الفعّالية. لقد استطاع هذا النظام، عبر عقود، إقصاء وجوه واستدعاء أخرى عبر صناديق الاقتراع، دون أن تهتز عقيدته الاستراتيجية الثابتة. من دبفيد بن جوريون وجولدا مائير، مروراً بـ إسحاق رابين ومناحيم بيجين، وصولاً إلى بنيامين نتنياهو، تبدلت المدارس الفكرية بين أقصى اليسار وأقصى اليمين، وتنوعت التكتيكات بين «حمائم» و«صقور»، لكن الغاية النهائية ظلت واحدة ومقدسة: الحفاظ على الوجود الإسرائيلي، وقضم الأرض وتصفية الحق الفلسطيني.

في المقابل، عانت الحركة الوطنية الفلسطينية من أزمة «شخصنة السلطة» وغياب التداول الحقيقي. على مدار أكثر من سبعة عقود، اختزلت القيادة الفلسطينية المنظمة تاريخياً في ثلاثة وجوه رئيسية: أحمد الشقيري، ثم ياسر عرفات، وصولاً إلى محمود عباس الذي يمثل امتداداً لنفس مدرسة القيادة الفردية. هذا الجمود البنيوي في هرم السلطة لم يكن مجرد غياب الأشخاص، بل كان غياباً لتجديد الفكر والأدوات الاستراتيجية. تحولت مؤسسات الثورة والدولة لاحقاً إلى هياكل بيروقراطية تدور في فلك «الزعيم»، مما أفقد الحالة الفلسطينية القدرة على المناورة والمواكبة، وجعل القرار الوطني رهيناً لرؤية الفرد لا المؤسسة.

ثانيهما: صدمة الرواية.. كيف يربحون الغرب ونخسر الرأي العام؟

المعركة مع الاحتلال لم تكن يوماً عسكرية فحسب، بل هي في جوهرها معركة «رواية» هناك إخفاق مُركب للإعلام الفلسطيني، ومن خلفه الإعلام العربي؛ إذ عجزت الماكينة الإعلامية طوال عقود عن اختراق وعي صانع القرار الغربي، أو حتى بناء جسور حقيقية مع الرأي العام في العواصم الكبرى لحثها على تقليص دعم إسرائيل.

لقد وقع الإعلام العربي في فخ «مخاطبة الذات»، متبنياً خطاباً عاطفياً يعتمد على البكائيات والشعارات الحماسية الداخلية، دون إدراك لبراجماتية العقل الغربي الذي لا تحركه العواطف بل المصالح والمفاهيم القانونية والحقوقية. في المقابل، نجحت البروباجندا الصهيونية في تسويق رواية مزيفة، تصور إسرائيل كـ«واحة للديمقراطية والحداثة» محاصرة بمحيط من الأعداء.

هذا الفشل في تسويق عدالة القضية بلغة يفهمها الغرب، حرم الفلسطينيين من ظهير دولي وشعبي كان يمكنه محاصرة الموقف الأمريكي والأوروبي، وتدفيع الاحتلال ثمن جرائمه سياسياً واقتصادياً.

وثالثهما: الانقسام الداخلي.. عَرَض لمشكلة «آلية إدارة الصراع»

لا يمكن قراءة المشهد الفلسطيني الراهن من دون التوقف أمام شرخ الانقسام العميق بين الضفة الغربية وقطاع غزة، وهو الانقسام الذي أكل الأخضر واليابس وأضعف الموقف التفاوضي والمقاوم على حد سواء. لكن هذا الانقسام، في حقيقته، ليس مجرد صراع فصائلي على مكاسب سلطوية ضيقة، بل هو عَرَض لمشكلة أعمق يتعلق بـ «آلية إدارة الصراع» نفسها.

لقد أديرت الحالة السياسية الفلسطينية بمنطق الإقصاء، وغياب الشراكة الوطنية الحقيقية. عندما التقت رغبة التفرد بالسلطة مع عجز الفصائل عن التوافق على استراتيجية وطنية موحدة تجمع بين العمل الدبلوماسي والمقاومة على الأرض، كانت النتيجة الحتمية هي التشظي. إن غياب مجلس وطني جامع، ومؤسسات ديمقراطية حقيقية تحتكم للشعب، جعل من الصعب إدارة التباينات الفكرية والسياسية بين نهج «التسوية» و«نهج المقاومة»، لتحول الخلاف الاستراتيجي المشروط صحياً في أي حركة تحرر، إلى انقسام جغرافي وسياسي قاتل استغله الاحتلال لترسيخ فصل الضفة عن غزة وتعميق الاستيطان.

السؤال الجوهري الذي يطرح في هذا السياق هو: ما الطريق الذي يسلكه الفلسطينيون للخروج من هذا التيه؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال نتوقف عند التجارب النضالية العالمية التي يمكن للفلسطينيين الاستفادة منها.

وفي النهاية، تكشف لنا هذه المقارنة الصريحة والمرة، أن التفوق الإسرائيلي لم يكن قدراً محتوماً، بقدر ما كان نتاجاً لتنظيم داخلي واستغلال ذكي للعلاقات الدولية وتوظيف متفوق الإعلام، إن استرداد الحقوق الفلسطينية لا يمر عبر انتظار معجزة دولية أو صحوة ضمير عالمي، بل يبدأ حتماً من ترتيب البيت الداخلي.

إن التاريخ يثبت أن عدالة القضية ليست كافية للانتصار ما لم تقترن بإدارة ذكية؛ وهنا تحديداً، تبرز القيمة الحقيقية لقراءة تجارب حركات التحرر العالمية الناجحة حيث تقدم للفلسطينيين دروساً بليغة في هذا الصدد. ففي جنوب أفريقيا، لم يسقط نظام الفصل العنصري (الأبارتايد) إلا عندما نجح المؤتمر الوطني الأفريقي بزعامة نيلسون مانديلا في توحيد الجبهة الداخلية، وبناء خطاب قانوني وإنساني عالمي عزل النظام الحاكم دولياً، وفرض عليه عقوبات اقتصادية خانقة.

وبالمثل نجحت الثورة الجزائرية ضد الاستيطان الفرنسي، لأنها استطاعت صهر كافة التيارات السياسية في «جبهة التحرير الوطني»، وتدويل القضية في الأمم المتحدة بالتوازي مع العمل على الأرض. وحتى الثورة الفيتنامية، استطاعت دحر القوة العسكرية الأمريكية ليس فقط عبر حرب العصابات، بل بفضل اختراق الرأي العام داخل أمريكا نفسها، وتحريك الشارع ضد حكومته.

هذه النماذج تؤكد أن النجاح يتطلب دوماً قيادة مرنة، وتداولاً للأدوار، وخطاباً خارجياً يخاطب مصالح وعقول القوى المؤثرة.

إن المخرج الوحيد من هذا التيه السياسي يتطلب ثورة شاملة في آليات العمل؛ تبدأ بضخ دماء جديدة وشابة في عصب القيادة عبر تداول ديمقراطي حقيقي، وصياغة خطاب إعلامي عصري يخاطب الغرب بلغة القانون الدولي والإنساني، والأهم من ذلك، بناء عقيدة سياسية موحدة تنهي الانقسام وتقوم على الشراكة لا الإقصاء. بدون هذه المراجعة الذاتية الشجاعة، سيبقى الاحتلال يتمدد على الأرض ويبقى الفلسطينيون يمتلكون أعدل قضية على وجه الأرض.. ولكن بأدوات هي الأضعف.